يمكن التـأريـخ لذلك بالحرب الاميركية على العراق كخاتمة لتلك الحقبة؛ وبدأت واشنطن مع عقد التسعينات في ترتيب أوضاع منطقة الشرق الاوسط كواحدة من أوراقها السياسية ـ الاقتصادية للهيمنة على العالم في القرن المقبل، وما كان ذلك ليتحقق لولا قبول سلطات المنطقة، كل على طريقتها وحسب التوقيت الذي يناسبها.

باختصار، يعتبر ضرب المقاومة الفلسطينية المسلحة، بما تمثّله من رمز، المحور الذي دارت حوله سياسة الاحتواء، بدءاً من عزل الجسد الفلسطيني المقاوم عن عمقه العربي، وانتهاء بعمليات تدمير ذلك الجسد سياسياً ومادياً، وتدمير «الروح الفلسطينية» في العمق العربي.

ومن الممكن، من زاوية نظر مختلفة، رؤية زيارة الرئيس المصري الراحل، أنور السادات، على أنها محاولة للخروج من النسق الاميركي، بعد أن أعيته محاولات الارتباط مع الولايات المتحدة الاميركية، من منظوره وعلى طريقته (١٩٧١ ـ ١٩٧٧)، حيث حاول بعدها، في حركة دراماتيكية، اخراج المنطقة من الفلك الاميركي بزيارته اسرائيل في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٧، طارحاً بجرأة، دون الاعلان، امكانية ان تتولّى المنطقة (دولاً وشعوباً) مسؤولية حل مشكلاتها بنفسها ولنفسها؛ لكن الطرف الآخر (الاسرائيـلي) الغـريب عن المنطقة، ردّه ثانية الى المرجعية العالمية (أميركا)، فطرح السادات مبدأ «الشراكة الكاملة» مع أميركا، وكانت النتيجة اتفاقيتي كامب ديفيد. ومع اقتراب موعد انجاز الاتفاق المـذكـور، توصلت اسرائيـل والولايـات المتحدة الاميركية الى معاهدة حول التعاون الاستراتيجي (١٩٨١)، وقُتل السادات قبل ان يرى نتائج عمله.

ويلاحظ المتتبع لعملية التفاوض العربية ـ الاسرائيلية، ان الاطراف العربية ـ بعد الانقطاع الذي شهدته العملية فترة استبدال الادارة الاميركية والزمن اللازم لاستعداد الادارة الجديدة ـ ألحت في خلال جولة وزير الخارجية الاميركية، وارن كريستوفر، للتمهيد لاستئناف المفاوضات على «الراعي الاميركي» ان يلعب دور «الشريك الكامل» في المفاوضات، فقَبِلَ بعد أن بذلت الاطراف العربية من «الأسباب المقنعة» ما جعله يَقْبل هذه الشراكة.

وفكرة الشريك الكامل التي أبدعها الرئيس السادات له فيها اجتهاد خاص، أورده الكاتب أحمد بهاء الدين في كتابه «ذكريات مع السادات»، فالنموذج الذي اقتدى به السادات لبلورة فكرة الشراكة هو شاه ايران السابق، محمد رضا بهلوي، وغاب عن باله أن شاه ايران واسرائيل كانا من منظور «مبدأ نيكسون» ركيزتي الاستراتيجية الاميركية للسيطرة على منطقة الشرق الاوسط وضبطها: ايران في منـطقة الخليج، واسرائيل على شاطىء المتوسط الشرقي؛ ولكن بعد قيام الثورة الايرانية أدركت واشنـطن أنْ ليس في المنطقة سوى «ثروة استراتيجية واحدة» هي اسرائيل لأنها العنصر الوحيد الغـريب عن المنطقة أولاً، ولأنها مشروع استعماري على النمط الاميركي ثانياً، ولأنها نموذج القوة الغربي ثالثاً، ولكل هذه الأسباب هي «عصا» الولايات المتحدة الاميركية، وليس «ولدها المدلّل» فقط. أمّا الانظمة العربية، فانها تتوهم بدفع «الشريك» الى اعتماد سلوك متوازن مع القبول بوضعية «الولد المدلّل» لاسرائيل. والشريك الكامل، في أبسط تعريفات مضمون الشراكة، لا يمكن ان يكون وسيطاً ولا نزيهاً، بل سيقف الى جانب مصالحه، وهذا طبيعي جداً؛ ولم يترك المسؤولون الاميركيون أي مجال للالتباس حول الطرف الذي يقفون الى جانبه.

ويستطيع أي مبتدىء حساب الوقت الذي مضى على افتتاح مؤتمر مدريد للسلام، وكان الرئيس الامـيركي، في حينـه، حدّد موعـداً، في كلمـة الافتتاح، للوصول الى تسوية في الشأن الفلسطيني